قعوار... و«القاهرة»

تلقينا من الأستاذ فخري قعوار، الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، المقال التالي الذي كان قد كتبه ردّاً على ما نشرته مجلة «القاهرة» المصرية التي يرأس تحريرها الدكتور غالي شكري (العدد رقم ١٤٤) والتي امتنعت عن نشر الردّ، حارمة الأستاذ قعوار من حقّه. فرأت «الآداب» أن تثبته هنا، على سبيل التعويض وإحقاقاً لحق الأمين العام لاتحاد الأدباء العرب...

في كلمة بعنوان «من المحرر: السكين فوق رؤوس الجميع»، وبتوقيع «التحرير»، نشرت مجلة **القاهرة** الموصوفة بأنها «مجلة الفكر والفن المعاصر»، كلمة افتتاحية، شنت فيها هجوماً غير مبرر، على عدد من المبدعين العرب خارج مصر، وعدد من المبدعين العرب داخل مصر، لأنهم لم يرددوا الرأي نفسه الذي رددته الصحافة المصرية والإعلام المصري إثر الاعتداء المدان على الروائي العربي نجيب محفوظ. فالصحافة المصرية والإعلام المصري، وقفا موقف الاتهام للجماعات الإسلامية، قبل أن يتم إلقاء القبض على الفاعل. ومن الواضح أن هناك توجيهاً لكثير من المثقفين في مصر، إلى جعل معركتهم مع الإسلاميين، لا مع دعاة الصلح والتطبيع مع العدو الصهيوني، وحلفاء الولايات المتحدة الأميركية في «حفر الباطن»، ورواد السوق الشرق أوسطية، جنباً إلى جنب مع الكيان الصهيوني. فكيف عرفت مجلة **القاهرة** سلفاً، أن الفاعل ينتسب إلى الجماعات الإسلامية؟ أنا شخصياً لم يكن لدي ما يشير إلى ذلك. وفي الوقت نفسه، طلب مني الأستاذ محمد علي فرحات من صحيفة **الحياة** اللندنية أن أجيب على سؤاله: «كيف تنظر إلى السكين المغروزة في عنق نجيب محفوظ»؟. ولأن هاجسي كان محصوراً في محاولة فهم ملابسات الحادث، لا إدانته، التي اعتبرها أمراً مفروغاً منه، ولأنني لا أملك أية معلومات، ولأن وزارة الداخلية المصرية نفسها لا تملك أيضاً أية معلومات، فقد اجتهدتُ في المسألة، وربطتُ بين جائزة نوبل التي منحتها الأكاديمية السويدية لياسر عرفات واسحق رابين وشمعون بيريز، إثر توقيع اتفاقية غزة/ أريحا، وبين جائزة نوبل التي منحتها هذه الجهة ذاتها لمحفوظ، واعتبرتُ أن طعن محفوظ الحاصل على نوبل، هو بمثابة إشارة تحذيرية إلى عرفات الحاصل على نوبل. وشاركني في هذا الاجتهاد عدد من الكتاب والسياسيين وأمناء عدد من الأحزاب التقدمية. وقلت في الرد على السؤال ما معناه، إن الجماعات الإسلامية لا تعتبر نجيب محفوظ هدفاً لها، بدليل أنه في متناول اليد منذ تأييده للصلح مع «إسرائيل»، وحتى يومنا هذا، لأنه يخرج من منزله في وقت معين، ويمشي على رجليه في الشارع العام في وقت معين، ويجلس في مقهى معين.. إلخ. وأقول اليوم، بعد أن تبيّنتْ هوية الفاعل، لماذا لا تكون أجهزة الموساد وراء الحادث، ولماذا لا يقبل عقل تحرير مجلة **القاهرة** اجتهاداً كهذا، قد تثبت صحته مستقبلاً؟

وإلى أن قرأت العدد (١٤٤) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٤ من مجلة **القاهرة** وأنا أعتبر نفسي غير مذنب، وأعتبر أن من حقي أن أجتهد، وأن أخطئ وأن أصيب. غير أن المجلة المذكورة افتعلت خصاماً معي، بسبب رأيي المشار إليه، ومارست ترهيباً ضدي، أقل ما أستطيع وصفه بأنه غير لائق بهيئة التحرير، التي تصف مجلتها بأنها مجلة «الفكر»! أي فكر هذا الذي تزعمه هيئة التحرير، وهي تقترف المغالطات بحقي، وبحق أدباء وكتاب ومفكرين عرب معروفين، بقصد الإساءة إليهم، وإلى سمعتهم الأدبية، بحيث يبدو «قلم التحرير» هو الجهة الوحيدة التي تحتكر الحقيقة وتعرف الصواب؟!.

من المؤسف حقاً، أن يصدر هذا بحق أساتذة أجلاّء، مثل الدكتور سهيل إدريس، الروائي المعروف، ورئيس تحرير مجلة **الآداب** اللبنانية، وصاحب المواقف القومية المشهودة التي دافع عنها طوال أكثر من أربعين عاماً من عمره ومن عمر **الآداب**. ومن المؤسف حقاً، أن تقوم مجلة **القاهرة** التي تدعي الرصانة والموضوعية، بمداهمة الآخرين، أمثال إدريس وهويدي وجلال أمين وصافيناز كاظم وكاتب هذه السطور، على طريقة زوّار الفجر، واتهامهم بتهم لا يقبلها ضمير غوبلز في قبره!

فالنية المبيتة للهجوم على شخصي كانت واضحة منذ البداية، إذ وصفني كاتب المقالة بأنني «رئيس اتحاد الكتّاب العرب»، وهو يعرف جيداً، أن أبجديات المناقشة والتخاطب تقتضي أن يطلق عليَّ وصفي الحقيقي، لا وصفاً من ابتداعه الخاص. وإذا كان الكاتب لا يعرف أنني «الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب»، فقد كان حرياً به أن يعرف ذلك من حاشية الرد على السؤال المنشورة إجابته في صحيفة **الحياة** وكان حرياً به أن يكون أميناً على حرمة الكلمة، وأن لا يسيء إليها بهذا القدر السافر من الانتهاك والتبشيع.

ويستمر كاتب المقالة في إسباغ الأوصاف على شخصي، فيقول عني: «الذي ما يزال يقاطع اتحاد الأدباء المصريين بحجة التطبيع». ولعل الكاتب لا يعرف أن التطبيع حجّة كافية للمقاطعة، ونحن ملتزمون بمقاطعة كل اتحاد للكتاب العرب يقف إلى جانب التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني. غير أن الديماغوجية التي تم بها طرح هذه المسألة تقتضي مني أن أبيّن الحقائق على النحو التالي:

أولاً: لست أنا الذي يقاطع اتحاد الكتاب المصريين، وإنما الذي جمّد عضوية هذا الاتحاد في الاتحاد العام هو المؤتمر العام للأدباء والكتاب العرب.

ثانياً: تم تجميد عضوية اتحاد الكتاب المصريين في أول مؤتمر للأدباء والكتاب العرب انعقد بعد قيام السادات بإبرام اتفاقيات كامب ديفيد مع العدو الصهيوني.

ثالثاً: تم الاتفاق في مؤتمر الأدباء والكتاب العرب الذي انعقد في أواخر عام ١٩٩٢ بعمان

على إعادة العضوية لاتحاد الكتاب المصريين، شريطة إعلان هذا الاتحاد عن التزامه بالنظام الأساسي للاتحاد العام. إلا أن الاتحاد في مصر لم يبادر إلى الاستجابة إلى ذلك، لأنه يعلم أن النظام الأساسي يقف بحزم ضد التعامل مع العدو.

وأستغرب هنا دفاع **القاهرة** عن اتحاد يأبى أن ينضوي تحت اللافتة العربية، ويأبى إلا أن يكون نصيراً قوياً للتطبيع الثقافي. وأستغرب كيف لا يكون هناك فصل بين اتحاد الكتاب المصريين من جهة، وبين المثقّفين والمبدعين والأدباء القوميين والتقدميين من جهة ثانية! وأؤكد هنا، أن صلتنا بالأدباء والكتاب المصريين لم تنقطع قط، ولكن من خارج إطار الاتحاد، وفي حدود المواقف المعلنة التي تنسجم مع تطلعات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب وأهدافه، وأخص بالذّكر أولئك المنتسبين إلى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، الذين وقفوا منذ أمد طويل ضد التطبيع الثقافي مع العدو، على غير ما فعل اتحاد الكتاب المصريين. كما أؤكد أننا نعرف وزن مصر الثقافي، وأننا نحرص دوماً على وجود المبدعين المصريين في كل ندواتنا العربية ومؤتمراتنا الأدبية، وأكتفي بالإشارة إلى أن «اللجنة العربية لمقاومة التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني» التابعة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، تضمّ في عضويتها حوالي أربعين أديباً ومثقفاً مصرياً، من أصل مائة وخمسة وثلاثين عضواً من جميع الأقطار العربية.

وأشير ببالغ الحزن والأسى، إلى مغالطة أخرى اقترفتها افتتاحية **القاهرة**، وهي التي جاءتْ في قول الكاتب إنه يتوجب عليه ـ أي أنا ـ أن يجمّد عضوية رابطة الكتاب الأردنيين في الاتحاد أيضاً، «لأن الأردن وقع معاهدة الصلح مع إسرائيل. ولكنّ المفارقة المؤسية ـ الهزلية، أنه أثناء توقيع المعاهدة الأردنية الإسرائيلية قال قعوار في تعليقه على حادث نجيب محفوظ: إن السكين التي اتجهت نحو رقبة نجيب محفوظ، لم تستهدف شخص نجيب محفوظ بقدر ما استهدفت إرسال إشارة تحذيرية إلى عرفات». ويعلق كاتب افتتاحية **القاهرة** على ذلك قائلاً: «ولم يجرؤ الكاتب الأردني، وهو الأقرب إلى مشهد التوقيع الأردني الإسرائيلي، على افتراض أية وجهة أخرى لرسالة السكين»! وهنا أبيّن:

أولاً: أنني لا أجمد عضوية اتحاد أو رابطة، ولا أرفع تجميداً عن عضوية اتحاد أو رابطة، والذي يجمد أو يرفع التجميد هو المؤتمر.

ثانياً: لقد أوضحتُ سابقاً ملابسات تجميد عضوية اتحاد الكتاب المصريين، ولعل هذا التوضيح يكفي لدحض المداعبة الثقيلة التي تفترض تجميد عضوية رابطة الكتاب الأردنيين. ولمزيد من التوضيح أقول إنّ قيادة الرابطة قامت بدعوة الهيئة العامة، واتخذت قرارات على غاية من الأهمية، ضد التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني... في حين أنّ قيادة اتحاد الكتّاب المصريين شرعت في التسابق نحو التطبيع، ونحو إعلان التأييد لكامب ديفيد، وفي زيارة إسرائيل. ولعل أبرز شخصية قيادية في اتحاد الكتاب المصريين، هو الأمين العام الأسبق للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، يوسف السباعي، الذي عرفنا جميعنا كيف كانت نهايته في قبرص!

ثالثاً: لقد وقفنا ضد المعاهدة الأردنية مع العدو الصهيوني، وشاركنا في اعتصام ضدها، وفي كتابات عديدة نشرت في الصحف الأردنية، ولا نخشى أن نكون ضد أوسلو وضد وادي عربة، مثلما كنا من قبل ضد كامب ديفيد. ولعل الجبناء وحدهم يفتقدون الجرأة في الآخرين، حينما يجهلون من هم الآخرون!

رابعاً: عندما وقع حادث الاعتداء على نجيب محفوظ، وعند الإجابة على سؤال **الحياة**، لم يكن الأردن قد وقّع معاهدة الصلح مع العدو. وهذا يكفي للرد على تداعيات قلم التحرير الذي انساب بلا منطق وبلا معرفة، بقصد الاتهام وإثارة الزوابع التي ليس لها ضرورة أو تفسير أو مبرّر.

إن مجلة **القاهرة** مدعوة إلى أخذ جرعات كبيرة من الرصانة، واحترام شروط الحوار، والابتعاد عن البطولات الوهمية والمعارك الدونكيشوتية. وأي استخفاف بسهيل إدريس وفهمي هويدي وجلال أمين وصافيناز كاظم والعبد الفقير إلى الله، لن يخفف من أوزانهم أو من ثقة قرائهم بهم، لكنه سيخفف ـ حتماً ـ من وزن المجلة **القاهرة**، لأنها حادثٌ عن الموضوعية، وأرادت أن تصدر فرمانات حرمان بحق أصحاب الاجتهاد والرأي، وصكوك غفران للذين يهتفون للتطبيع ولتحويل النظر المصري بخاصة، والعربي بعامة، عن قضيته الرئيسية، مع أعدائه الرئيسيين!

وفي النهاية أقول، إذا كانت السكين فوق رؤوس الجميع كما قال كاتب افتتاحية **القاهرة**، أفلا تعرف هيئة التحرير أن عليها أن تكون أكثر شجاعة في تحديد هوية أعدائها وخصومها؟ وإذا كانت السكين فوق رؤوس الجميع، فهل تقول لنا هيئة التحرير شيئاً عن ماهية هذه السكين، وهل يمسك بقبضتها المسلمون المصريون أم الصهاينة العنصريون؟

فخري قعوار (عمان)

استعبار لا استعمار، يا دكتور!

أخي الدّكتور سهيل ادريس.

نتلقّى مجلتكم **الآداب** هنا في بلادنا بتشوّق وبتقدير. ونتعلّم منها أصول الحوار الحضاري واحترام الرأي الآخر.

ولكنني قرأت مقالاً في العدد ٨ و ٩ آب وأيلول ١٩٩٤، بقلم د. جمال الدّين الخضور بدا لي أنّه أراد به ـ فيما أراد ـ أن يقنعني بأنّني، وغيري ممن يسمّيهم بـ «الجوقة الأدونيسيّة» أو بجماعة «أدونيس الغرناطوي»، ناقصو دين وعقل! غير أنّ هذه الشّراسة «الثقافية» في تكفير الرّأي الآخر لا تستطيع أن تخفي هدفه الأساس من وراء هذا المقال الأنتروبولوجي... وهو تكفير وتخوين القيادة الفلسطينية التي دمغها كاتب المقال بالمسؤولية عن «الاستسلام العربي بصيغته العرفاتيّة». ويكون د. جمال الدين الخضور، بهذا الدّمغ البطولي، بعيد النّظر من حيث أنّه وجد المبرّر الجاهز أمام الأنظمة العربية في تهافتها الحالي على إجراء الصّلح الشّامل مع إسرائيل على حساب الشّعب العربي الفلسطيني. لقد عاش المثقّف العربي حوالي نصف قرن وهو يعلّق عدم شجاعته الأدبية على شمّاعة «الشهيد الفلسطيني». أما وقد قرر الشهيد الفلسطيني أن ينزل عن إطاره الأسود، ويعيش كما الناس، فيبدو أنّ هذا المثقّف العربي يُعدّ العُدّة للانتقال إلى تعليق عدم شجاعته الأدبيّة على شمّاعة «الخائن الفلسطيني».

إن من حقّ الكاتب التّعبير عن آرائه. ومن حقّنا عليه أن نطالبه بالتواضع العلمي في وضع المعادلات وفي اكتشاف القوانين الاجتماعية الجديدة، من مثل قوله إنّ «الهوية العربيّة لا تكون إلاّ بالاشتباك التناحري مع «الهوية